نَحْوَ فَهْمٍ قِيَمِيٍّ لِلْقُرْآنِ الكَرِيمِ
عِنْدَ الوَزِيرِ المَغْرِبِيّ (ت/٤١٨هـ) وَابْنِ المُتَوَّجِ البَحْرَانِيّ (ت/٨٢٠هـ)

عبير جبَّار المُلا
dralmola55@yahoo.com

أ.د حكمت عبيد الخفاجي
alkfagia@yahoo.com

كليَّة العلوم الإسلاميَّة/ جامعة بابل

الملخص

الخطاب القرآنيّ خطابٌ مكتنزٌ بـ (القيم)، ولا ريبَ أنَّه يترك أثرًا في بناء المنظومة القيميَّة، والبحث- هنا- يطرح مشكلةً يحاول الإجابة عنها، والمشكلة تتلخَّص بطرح السُّؤال الآتي: (هل يمكنُ فَهْم القرآن في ضوء المنظومة القيميَّة؟)، ولمَّا كانَتِ الإجابة تحتمل أنْ تكون بـ (نعم)، وتحتمل أنْ تكون بـ (لا)، فقد افترضَ البحث الاحتمال الأوَّل، أي: الحالة الإيجابيَّة- الجواب: بـ (نعم)- وحاول جاهدًا اثبات هذه الفرضيَّة في هذا البحث، على مستويين، أحدهما: المستوى (النَّظريّ) لفَهْم القرآن: ونلمس هذا الأمر عند ورود (لفظة) مفردة، أو مركَّبة (نصّ)، تحتمل عدَّة أوجه، أحدها: ناظرٌ إلى (القيم)، فنبني أنَّ من تبنَّى هذا الوجه كانَ أساس فهمه (أساس قيميّ)، والثَّاني: المستوى (التَّطبيقي) لفَهْم القرآن: ونلمس هذا الأمر في نصوص قرآنيَّة، احتملَتْ عدَّة وجوهٍ، وبعض المفسِّرين اختار بعض الوجوه؛ بدواعٍ قيميَّة- ولو احتمالًا- ونخلص في ختام هذا البحث أنَّ (المنظومة القيميَّة) أسس في تحديد وترشيح خيارات (فَهْم القرآن).

الكلمات التَّعريفيَّة:

فَهْم، قرآن، منظومة، قيم، خطاب.

Towards a Valuable Understanding of the Holy Qur'an of the Moroccan Wazir (d. 418 A.H.) and Ibn al-Mutawaj al-Bahrani (d. 820 A.H.)

Abeer Jabbar Al Mulla

dralmola55@yahoo.com

Prof. Dr. Hikmat Obaid Al-Khafaji

alkfagia@yahoo.com

Abstract

The Qur'anic discourse is a discourse which is full of (values), and there is no doubt that it leaves an impact on building the value system, and the present research poses a problem that it is trying to answer, and the problem is summarized by asking the following question: (Can the Qur'an be understood in the light of the value system?), and since the answer was It may be (yes), and it may be (no), as the research assumed the first possibility, that is to say, the positive case(yes), and it tried hard to prove this hypothesis in this research, on two levels, one of them: the Theoretical level for understanding the Qur'an: we see this matter when a singular word or a compound (text), and it contains several aspects, one of which is: looking at (values), so we build that whoever adopts this aspect was the basis of his understanding (a value basis), and the second: the level (applied) for understanding the Qur'an: We see this matter in Qur'anic texts, which have several aspects, and some commentators have chosen some aspects. On the basis of value - even if it is possible - and we conclude this research that (the value system) is the basis for identifying and filtering options (understanding the Qur'an).

Keywords:

Understanding, Holy Qur'an, system, value, discourse.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ لله رَبِّ العَالِمِينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أَشْرفِ خَلْقِهِ أَجمعينَ محمَّد ﷺ، وعلى أهلِ بيتِهِ الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلوات الله عليهم أجمعينَ)، وعلى أصحابه الأخيار المنتجبينَ، الَّذينَ اقتفُوا أثره، واتَّبعُوا سُنَّته.

وَقَدِ اخْتَرْنَا هذَا العُنْوَانَ للكتابةِ فيهِ لأسبابٍ، أحدُهَا: بيان الأثر الَّذي تركه الخطاب القرآني في بناء (المنظومة القيميَّة)، وكانَ هدفنا تسليط الضوء على الفَهْم القيميّ عند المفسِّرينَ؛ ولتحقيق هذا الأمر اخترْنا تفسيرينِ في زمانينِ مختلفينِ، لمدرستينِ مختلفينِ مكانًا وزمانًا وشيوخًا، ومنهجًا، وإنْ كانتا تنتميانِ إلى مدرسةٍ واحدةٍ، هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام. أمَّا الأوَّل، فقد كان (المصابيح في تفسير القرآن العظيم)، للوزير المغربيّ، أبي القاسم، عليّ بن الحسين (ت/ ٤١٨هـ) من مدرسة بغداد التَّفسيريَّة، وأمَّا الثَّاني، فقد كانَ (منهاج الهداية في تفسير الخمسمائة الآية)، لابن المتوَّج البحرانيّ الحلِّيّ: جمال الدِّين، أحمد بن عبد الله (ت/ ٨٢٠هـ) من مدرسة الحلَّة التَّفسيريَّة، والتَّفسيرانِ مختلفانِ، فالأوَّل كانَ في الرُّبع الأوَّل من القَرن الخامس الهجريّ، والثَّاني كانَ في الرُّبع الأوَّل من القَرْن التَّاسع الهجريّ.

وقدْ قامتْ خُطَّتُنا في نَظْمِ هذا البحث عَلَى مَلخَّصٍ، ومقدِّمة، ومبحثينِ، والخاتمة والنَّتائج، فثَبَتُ المصادر والمراجع.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ

المبحثُ الأوَّلُ

تفسيرُ (مَا طَابَ)

تبنَّى الوزير المغربيّ: أبو القاسم، عليّ بن الحسين (ت/ ٤١٨هـ)- المغربيّ نسبة إلى الجانب الغربيّ ببغداد، على أحد الأقوال- أنَّ (ما طابَ) في قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾[١]: بمعنى: ما بلغَ، وبهذا يكون معنى الآية- على هذا الوجه- فانكحوا ما بلغ من النِّساء[٢].

وهذا التَّفسير قيميّ؛ لأنَّه ناظرٌ إلى (القيم)؛ لأنَّه يمنع من تزويج (اليتيمة) قبل بلوغها؛ لئلَّا يجري عليها الظُّلم، وبمنع الظُّلم يحلُّ العدل، وهو أمر متحقِّقٌ- في أقلِّ تقدير- عند البلوغ؛ لأنَّها عند البلوغ هي من تختار لنفسها زوجًا، فحينئذٍ لا ظُلْمَ[٣].

وقد نقل هذا القول نفسه الشَّيخ الطُّوسيّ (ت/ ٤٦٠هـ) في كتابه (التِّبيان)[٤]، والرَّاونديّ في كتابه (فقه القرآن)[٥]. وعند التَّأمُّل في هذا التَّفسير نجد أنَّه اعتمد أصلًا من أصول التَّفسير، هو (اللُّغة)، وقاعدة من قواعد التَّفسير المندرجة تحت هذا الأصل، وهي (تفسير القرآن في ضوء اللُّغة)، أي: حمل اللَّفظ القرآني على المعنى (المعجميّ) مع الاحتمال، وعدم وجود المانع[٦]. فبيَّنَ أنَّ (طابَ) في اللُّغة تعني: (بلغَ)، كقولنا: طابَتِ الثَّمرة، أي: بلغَتْ[٧].

وقد تتبَّعْنا معنى لفظة: (طابَ) في كتب المعجمات بدءًا من (العين)، للفراهيديّ (ت/ ١٧٥هـ)[٨]، ومرورًا بـ (جمهرة اللُّغة)، لابن دريد الأزديّ (ت/ ٣٢١هـ)[٩]، و(تهذيب اللُّغة)، للأزهريّ (ت/ ٣٧٠هـ)[١٠]، و(الصِّحاح)، للجوهريّ (ت/ ٣٩٣هـ)[١١]، و(مقاييس اللُّغة)، لابن فارس (ت/ ٣٩٥هـ)[١٢]، و(مختار الصِّحاح)، للرَّازيّ (ت/ ٦٩٦هـ)[١٣]، وانتهاءً بـ (المصباح المنير)، للفيُّوميّ (ت/ ٧٧٠هـ)[١٤]، فلم نجد هذا المعنى.

نعم وجدْنا معنًى يقرب من هذا المعنى في (لسان العرب)، لابن منظور (ت/ ٧١١هـ)[١٥]، و(القاموس المحيط)، للفيروزآباديّ (ت/ ٨١٧هـ)[١٦]، فقد وردَ في الأوَّل: طابَتِ الأرضُ، أي: أَخْضَبَتْ وأكْلَأَتْ[١٧]، وفي الثَّاني وردَ: طابَتِ الأرضُ، أي: أكْلَأَتْ[١٨]. وهذا المعنى يمكن أنْ يؤدِّي معنى (البلوغ) لو وجَّهناه، فقلْنا: إنَّ الأرضَ إذا أَخضبَتْ وأكلأَتْ بلغَتْ الحياة الجاذبة؛ للسَّكن فيها، والرَّحيل إليها.

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ الوزير المغربي له تفسير يحمل اسم (المصابيح في تفسير القرآن العظيم)، وقد كان مخطوطًا، ورُبَما كانَ مفقودًا، وقد ظهر للنُّور حديثًا، فقد تمَّ تحقيقه في (أطروحة دكتوراه)[١٩]، قُدِّمَتْ إلى جامعة (أُمِّ القرى)، في الرِّياض، سنة ١٤٢١هـ (٢٠١٩م) (من أوَّل سورة الفاتحة إلى آخر سورة الإسراء)، وقد طُبِعَتْ، ونُشِرَت على (الإنترنت).

وعند رجوعنا إليه وجدْناه يقول- ما خُلاصته-: (ما طابَ): بمعنى (ما أُحِلَّ)، كذا قالُوا، والَّذي عندنا فيه أنَّ (ما طابَ)، بمعنى (ما أدركَ)، فيكون المعنى: فانكحُوا ما أدركَ من النِّساء[٢٠]، ثمَّ بيَّن الأصل التَّفسيريّ الَّذي اعتمدَ عليه، والقاعدة التَّفسيريَّة المندرجة تحت هذا الأصل الَّتي لجأ إليها، ذاكرًا المثال اللُّغويّ الَّذي حذا حذوه، واقتفى أثره، فحمل اللَّفظ القرآنيّ (طابَ) على معناه (المعجميّ)، فقال: ((كما يُقالُ: طابَتِ الثَّمرةُ، أي: أَدْرَكَتْ))[٢١]. بعد ذلك بيَّنَ القيم المترتِّبة على اختيار هذا الوجه، بكون ظلم اليتيمة شديدًا، وبكون الإثم فيها عظيمًا، وهما أخفُّ في المرأة البالغة؛ وممَّا يؤيِّد ذلك قوله: ((ومراده- والله أعلم- التَّحذير من ظلم اليتيمة، فإنَّ ظلمها شديدٌ، والإثمُ فيها عظيمٌ، والأمرُ في المرأة البالغة أخفُّ))[٢٢]. وأدرك بمعنى: بلغ في اللُّغة.

يتَّضح لنا ممَّا تقدَّم أنَّ الوزير المغربيّ قد فسَّر (مَا طَابَ) تفسيرًا قيميًّا؛ لأنَّه

حمـلَ (مَا طَـابَ) على معنى (مَا بَلَغَ)؛ وهو تفسـيرٌ يسـعى لدفـع الظُّلم، وإحلال العـدل محلَّه، أو يحاول أنْ يصـلَ بالظُّلم إلى أخفِّ درجاته؛ ويجعله قريبًا من العدل في أقـلِّ تقديرٍ. وعلى يكون أثـر الخطاب القرآنيّ واضحًا في بنـاء المنظومة القيميَّة، بـل في فَهْم المفسِّر بحَمْل الألفـاظ المحتملة للمعاني المتعدِّدة على ما يُسـهم في بناء المنظومـة القيميَّة منهـا، ولعلَّ صلة معاني الألفاظ بها هـو المرجِّحات لتلك المعاني عند أصحاب هذا الاتِّجاه، ولو من جهة الاحتمال، لا من جهة اليقين.

المبحثُ الثَّاني

تفسير ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٢٣]

إنَّ ابـن المتـوَّج البحرانيّ قد تبنَّـى أنَّ الثِّياب بمعنى (النِّسـاء)[٢٤]، وهو معنى تحقَّق بتوسُّـط حمـل معنى الثِّياب على معنـى اللِّباس، أي: حمـل الثِّياب على معنى اللِّبـاس؛ ليفسِّر الأخير بـ (النِّسـاء)، معتمـدًا في ذلك المنهج القرآنيّ، أي: تفسـير القرآن بالقرآن[٢٥].

وهـذا المعنى هو الَّذي تبنَّاه، وهو معنًى سـبقَهُ إليه الشَّريـف الرَّضيّ[٢٦]، فهو عيالٌ عليه- بحسـب تتبُّعنا- وهذا التَّفسير قائم على مرحلتينِ، أمَّا المرحلة الأولى، فهي تفسـير الثِّياب بـ (اللِّباس)- عـلى مبنًى من يـرى أنَّهما بمعنًى واحـدٍ- وأمَّا المرحلة الثَّانية، فهي تفسـير اللِّباس بـ (النِّسـاء)، وبعبارةٍ أخرى: إنَّ المرحلة الأولى ممهِّدةٌ للمرحلة الثَّانية؛ لأنَّ حَمْلَ الثِّياب على معنى اللِّباس مكَّن من تفسيرها بمعنى النِّسـاء. وهذا المعنـى وجه- تأويل- من الوجوه المحتملة، وهو مسـتندٌ إلى قاعدةٍ تفسـيريَّة، هي: (تفسـير القرآن بالقـرآن)[٢٧]، وهي مندرجةٌ تحـت الأصل الأوَّل مـن أصول التَّفسـير (القـرآن)[٢٨]؛ لأنَّ الثِّياب في سـورة (المدَّثِّـر/ ٤)، بعد حملها على اللِّباس، واللِّباس وردَ بمعنى (النِّسـاء) في سورة (البقرة/ ١٨٧)، جازَ تفسير الثِّياب بمعنى (النِّساء).

ومـن نافلة القول: إنَّ ابن المتوَّج البحرانيّ، وإنْ وافقَ الشَّريف المرتضى بحمل الثِّيـاب على معنى النِّسـاء، وتابعـه عليه، إلَّا أنَّـه خالفه بمعنى (طَهِّـرْ)، فقد حملَ التَّطهـير على معنى (العِفَّـة)- الَّتي هي قبالة المسـافحة، أي: الزَّانية- وبهذا يكون معنى النَّـصِّ القرآنيّ على تأويل ابن المتوَّج البحرانيّ أمـرًا باختيار المرأة (العفيفة)، فهي طاهرة من دَنَس (المسافحة= الزِّنا). وفي تقديري أنَّه معنًى محتمل؛ لأنَّ القرآن أطلـق المُحْصَن عـلى أربعة معانٍ، أمَّـا الأوَّل، فقد أطلِقَ فيه على المـرأة (العفيفة)،

نحو: قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۚ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[٢٩]، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[٣١] والشَّاهد في النَّصِّ الأوَّل: ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾- على قولٍ؛ لأنَّ (الإحصان)- هنا- بمعنى (العفَّة)على أحد القولينِ[٣٢]، وبمعنى (الحرِّيَّة) على القول الثَّاني[٣٣]، و﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾، يُرادُ به: العفيفات، أي: نساء أحصنَّ أنفسهنَّ بعقلهنَّ التَّامِّ[٣٤]. والشَّاهد في النَّصِّ الثَّاني: ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾، يراد به: العفائف[٣٥]، والشَّاهد في النَّصِّ الثَّالث: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، يراد به: العفيفة[٣٦]. فالَّذي نريد أنْ نخلُصَ إليه أنَّ القرآن استعمل (الاحصان) بمعنى (العفَّة)[٣٧]، وقد تبنَّى ابن المتوَّج البحرانيّ هذا المعنى من معاني الإحصان؛ لاستعمال القرآن له، وأمَّا الثَّاني فقد أطلِقَ فيه على (المتزوِّجات)- قُبالة غير المتزوِّجات- قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٣٨]، والشَّاهد فيه: (الْمُحْصَنَاتُ)، أي: المتزوِّجات ما دُمْنَ في عِصْمة أزواجهنَّ، فهنَّ محرَّمات على غيرهنَّ[٣٩]، فالقرآن استعمل الإحصان- هنا- بمعنى (الزَّواج)[٤٠]، ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾[٤١]، الشَّاهد فيه: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾، أي: تزوَّجنَ، فصرْنَ محصناتٍ بالأزواج، والحديث- هنا- عن الإماء من النِّساء[٤٢]، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ حَمْل (الاحصان)- هنا- على معنى (الزَّواج) على أحد التَّفسيرينِ[٤٣]؛ لأنَّه- هنا- يُفسَّر بمعنى (الزَّواج) تارةً[٤٤]، ويفسَّر بمعنى (الإسلام) تارة أخرى[٤٥]، وأمَّا الثَّالث، فقد أطلِقَ فيه على (الحرائر) - قُبالة الإماء- قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ

﴿ٱلْعَذَابِ﴾[٤٦]، فالإحصان- هنا- بمعنى (الحرِّيَّة) على أحد التَّفسيرين[٤٧]، وأمَّا الرَّابع فقد أطلِقَ فيه على (المسلمات)- قُبالة غير المسلمات- قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[٤٨]، فالإحصان- هنا- بمعنى (الإسلام) على أحد التَّفسيرين[٤٩].

وقد استندَ إلى نصٍّ قرآنيّ، شبَّه المرأة العفيفة بالبلد الطَّيب، فكلُّ واحدٍ منهما يخرج طيِّبًا، وشبَّه المرأة المسافحة بالبلد الَّذي خُبِثَ، فكلُّ واحدٍ منهما يُخرجُ نكدًا، ولعلَّ هذا الرَّأي- العفَّة- راجع إلى قول السُّدِّيّ: بكون طاهر الثِّياب يُقال لـ (الصَّالح)، وخبيثُ الثِّياب يُقال لـ (الفاجر)[٥٠]. أمَّا الشَّريف الرَّضيّ فقد حملَ (طهِّر) على (الإسلام)- الَّذي هو قبالة الشِّرك- لذا كان معنى النَّصِّ القرآنيّ على تأويله أمرًا باختيار المرأة (المسلمة)، فهي طاهرة من دَنَس (الشِّرك) المقابل للإسلام. وفي تقديري أنَّه معنًى محتمل؛ لأنَّ القرآن أطلق المُحْصَن- في إحدى إطلاقاته[٥١]- على المرأة (المسلمة) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٥٢]. و(المشركات): لفظٌ عامٌّ يشمل (الكتابيَّات)، و(غير الكتابيَّات)[٥٣]، ويندرج تحت الأوَّل (اليهوديَّات، والمسيحيَّات، والمجوسيَّات)، ويندرج تحت الثَّاني (المشركات الوثنيَّات) إلَّا أنَّه خُصِّصَ بـ (المشركات الوثنيَّات) دون الكتابيَّات[٥٤]؛ بدلالة قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾[٥٥].

الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ

وما خلصْنا إليه من دراستنا في هذه الرِّسالة، يمكن إدراجه، بما يأتي:

١- إنَّ الدِّراسات القرآنيَّة بصورة عامة، والدِّراسات التَّفسيريَّة بصورة خاصة، تقدِّم لنا في ميادين (فهم القرآن) أثر فهم الخطاب القرآنيّ في بناء المنظومة القيميَّة، ولا سيَّما أنَّ الخطاب القرآنيّ هو الخطاب الأوَّل في لائحة الخطاب الإسلاميّ.

٢- نلمس في فهومات (الوزير المغربيّ)، و(ابن المتوَّج البحرانيّ) لبعض الألفاظ الَّتي تتعلّق بـ (الأسرة)، لو ركَّزْنا عليها لوجدْناها ترمي إلى تفعيل (المنظومة القيميَّة)؛ لبيان دورها في بناء الفرد من جهةٍ، وبناء المجتمع من جهة أخرى.

٣- في هذا إظهار للصُّور الرَّائعة المقدَّمة من مفسِّري مدرسة (بغداد)، ومدرسة (الحلَّة) التَّفسيريَّتين، الَّتي عبَّرَتْ عن فهمهم لألفاظ القرآن.

٤- جاءَتْ- هنا- تحمل توقيع الوزير المغربيّ، فقد فسَّر (مَا طَابَ) تفسيرًا قيميًّا؛ لأنَّه حمل (مَا طَابَ) على معنى (مَا بَلَغَ)؛ وهو تفسيرٌ يسعى لدفع الظُّلم، وإحلال العدل محلَّه، أو يحاول أنْ يصلَ بالظُّلم إلى أخفِّ درجاته؛ ويجعله قريبًا من العدل في أقلِّ تقدير.

٥- جاءَتْ تحمل توقيع ابن المتوَّج البحرانيّ أيضًا، فإنَّ فهمه- لا ريبَ- أَسهمَ في تطوير (المنظومة القيميَّة)، وبالخصوص ما يتَّصل منه اتِّصالًا مباشرًا بالمرأة؛ بكونها هي مدار الاستيلاد، وهي مضامُّ الأولاد.

٦- قد تجلَّى هذا الأمر في تفسير لفظة (الثِّياب) في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾. فقد فسَّر (الثِّياب) بـ (المرأة)، وفسَّرَ (التَّطهير) بـ (العفَّة).

٧- وهو لا تفسير- لا شكَّ- أنَّه ناظرٌ إلى (المنظومة القيميَّة) فقد شبَّه المرأة العفيفة بالبلد الطَّيب، فكلُّ واحدٍ منهما يخرج طيِّبًا، وشبَّه المرأة المسافحة بالبلد الَّذي

خَبُـثَ، فـكلٌّ واحدٍ منهما يُخـرجُ نَكَدًا. ولعـلَّ هذا الرَّأي- العفَّـة- راجع إلى قول السُّـدِّيّ: بكون طاهر الثِّياب يُقال لـ (الصَّالـح)، وخبيثُ الثِّياب يُقال لـ (الفاجر).

٨- وعليـه يكون أثر الخطاب القرآنيّ واضحًا في بنـاء المنظومة القيميَّة، بل في فَهْم المفسِّر بحَمْل الألفاظ المحتملة للمعاني المتعدِّدة على ما يُسـهم في بناء المنظومة القيميَّة منها.

٩- ولعـلَّ صلة معاني الألفـاظ بـ (المنظومة القيميَّة) هو إحـدى المرجِّحات لتلك المعاني عند أصحاب هذا الاتِّجاه، ولو من جهة الاحتمال، لا من جهة اليقين.

١٠- لمسْنا أنَّ بعض ألفاظ القرآن الكريم لها احتمالات دلاليَّة قيميَّة، دفعَتْ بعض المفسِّرينَ إلى اختيارها، وكانَتْ هي الدَّلالات الرَّاجحة لديهم.

١١- إنَّ هـذا البحث يقودُنا إلى مشروع كتاب- مسـتقبلي- (book project)، ممكـن أن يكونَ بعنوان: (نحوَ تفسـير قيميّ؛ للقرآن الكريم)، نسـعى فيه إلى الوقوف على (فَهْم القرآن) فَهْمًا قيميًّا.

١٢- إنَّ حَمْـل بعض الألفـاظ القرآنيَّة على الدَّلالات (القيميَّـة)، يمثِّل مرحلةً من مراحل التَّطوُّر الدَّلاليّ للمفردة القرآنيَّة في السَّـاحة التَّفسيريَّة؛ وممَّا يؤيِّد ذلك أنَّ (مـا طابَ)- طُوالَ أربعة قرونٍ- كانَتْ تُحمل على معنى (ما حلَّ)، في حين أنَّه في القَرْن الخامس الهجريّ، ظهرَ لها معنى دلاليّ جديد، هو (ما بلغَ) على يد الوزير المغربيّ في تفسيره (المصابيح).

الهوامش

(١) النِّساء/ ٣.
(٢) الرَّاونديّ/ فقه القرآن، ٢/ ١١٢.
(٣) المصدر نفسه، ٢/ ١١٢.
(٤) الطُّوسيّ/ التِّبيان، ٣/ ١٠٤.
(٥) الرَّاونديّ/ فقه القرآن، ٢/ ١١٢.
(٦) ظ: د. جبَّار كاظم المُلَّا، د. سكينة عزيز الفتليّ/ قواعد أصول التَّفسير/ ١٩-٢١.
(٧) الرَّاونديّ/ فقه القرآن، ٢/ ١١٢.
(٨) الفراهيديّ/ العين، ٣/ مادة: (طاب).
(٩) ابن دريد الأزديّ/ جمهرة اللُّغة، ٣/ مادة: (طاب).
(١٠) الأزهريّ/ تهذيب اللُّغة، ٣/ مادة: (طاب).
(١١) الجوهريّ/ الصِّحاح، ٣/ مادة: (طاب).
(١٢) ابن فارس/ معجم مقاييس اللُّغة، ٣/ مادة: (طاب).
(١٣) الرَّازيّ/ مختار الصِّحاح، ٣/ مادة: (طاب).
(١٤) الفيُّوميّ/ المصباح المنير، ٣/ مادة: (طاب).
(١٥) ابن منظور/ لسان العرب، ١/ مادة: (طيب).
(١٦) الفيروزآباديّ/ القاموس المحيط، ٢/ ١١٢.
(١٧) ابن منظور/ لسان العرب، ١/ مادة: (طيب).
(١٨) الفيروزآباديّ/ القاموس المحيط/ مادة: (طيب).
(١٩) ظ: أطروحة الدُّكتوراه، دراسةٌ وتحقيق: د. عبد الكريم الزَّهرانيّ/ الرِّياض،١٤٢١هـ..
(٢٠) الوزير المغربيّ/ المصابيح/ ٢٢٩.
(٢١) المصدر نفسه/ ٢٢٩.
(٢٢) المصدر نفسه/ ٢٢٩.
(٢٣) المُدَّثِّر/ ٤.
(٢٤) ابن المتوَّج البحرانيّ/ منهاج الهداية/ ٢٧٨- ٢٧٩.
(٢٥) د. محمَّد حسين الصَّغير/ المبادئ العامَّة لتفسير القرآن الكريم/ ٩٢.
(٢٦) ظ: الشَّريف المرتضى/ تلخيص البيان/ ٣٥٤.
(٢٧) د. جبَّار كاظم الملَّا/ قواعد التَّفسير/ ١٣.
(٢٨) د. جبَّار كاظم المـلَّا، د. سكينة عزيز الفتليّ/ قواعد أصول التَّفسير/ ١٣.
(٢٩) النِّساء/ ٢٥.
(٣٠) النُّور/ ٢٣.
(٣١) الأنبياء/ ٢٣.
(٣٢) السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٤٨.
(٣٣) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.
(٣٤) المصدر نفسه، ٢/ ١٤٨.

(٣٥) المصدر نفسه، ٢/ ٣١٤، ٣١٦.

(٣٦) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.

(٣٨) النِّساء/ ٢٣- ٢٤.

(٣٩) السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٦٧.

(٤٠) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.

(٤١) النِّساء/ ٢٥.

(٤٢) السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٤٨.

(٤٣) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.

(٤٤) المصدر نفسه، ٢/ ١٤٨، ١٦٨.

(٤٥) المصدر نفسه، ٢/ ١٦٨.

(٤٦) النِّساء/ ٢٥.

(٤٧) السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٤٨.

(٤٨) النِّساء/ ٢٥.

(٤٩) السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٦٨.

(٥٠) ظ: الطَّبْرسيّ/ مَجْمع البيان، ١٠/ ٢٤٥.

(٥١) ظ: السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٤٨، ١٦٨.

(٥٢) البقرة/ ٢٢١.

(٥٣) السُّيُوريُّ/ كنز العرفان، ٢/ ١٦٨.

(٥٤) ظ: المصدر نفسه، ٢/ ١٦٩.

(٥٥) المائدة/ ٥.

المصادرُ والمراجعُ

القُرْآنُ الكريمُ.

١. التِّبيان في تفسير القرآن: الطُّوسِيّ، أبو جَعْفَر، محمَّد بن الحَسَن (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ/ ط١، مؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ، قم المشرَّفة، ١٤١٧هـ.

٢. تلخيص البيان في مجازات القرآن: الرَّضيّ، أبو الحسن محمَّد بن الحسين الموسويّ العلويّ (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق محمَّد عبد الغني حسن ، دار الأضواء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط ٢ ، بيروت، ١٤٠٦هـ.

٣. جمهرة اللُّغة: ابن دريد الأزديّ، أبو بكر محمَّد بن الحسن (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العِلم للملايينَ، بيروت، ١٩٨٧م.

٤. الصِّحاح؛ تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: الجَوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار، ط٤، دار العِلم للملايينَ، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥. العين: الفراهيديّ، أبو عبدُ الرَّحمنِ الخَلِيلُ بن أَحمد (ت ١٧٥هـ)، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٢٤هـ.

٦. فِقْهُ القُرْآنِ: الرَّاونديّ، أبو الحَسَن قطب الدِّين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق أحمد الحُسَيْنِيّ، ط٢، مطبعة الولاية، مكتبة آية الله المرعَشيّ النَّجفيّ العامَّة، قم المشرَّفة، ١٤٠٥هـ.

٧. القاموس المحيط: الفَيْرُوزآبَادِيّ، أبو طاهر مجد الدِّين محمَّد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، تحقيق محمَّد عبد الرَّحمن المرعَشليّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، ط٣، بيروت، ١٤٢٤هـ .

٨. قواعد أُصول التَّفسير في تهذيب الوصول للعَلَّامَة الحِلِّيِّ وكنز العرفان للسُّيُوريِّ الحِلِّيِّ: د. جبَّار كاظم المُلَّا ، د. سكينة عزيز الفتليّ ، مركز العَلَّامَة الحِلِّيِّ لإحياء تُراث حَوْزة الحِلَّة العلميَّة، الحِلَّة المشرَّفة، ط ١، ١٤٤٠هـ.

٩. قواعد التَّفسير: د. جبَّار كاظم المُلَّا ، محاضرات أُلقيَتْ على طلبة الماجستير، قسم (علوم القرآن)، كلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة، جامعة بابل، ١٤٤٠هـ.

١٠. كنز العرفان في فِقْه القُرْآن: السُّيُوريُّ، أَبو عبد الله جمال الدِّين المقداد بن عبد الله الحِلِّيِّ (ت ٨٢٦هـ) ، تحقيق محمَّد القاضي، دار الهدى، المَجْمع العالميّ للتَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، قم المشرَّفة، ١٤١٩هـ.

١١. لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدِّين محمَّد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٢. مَجْمع البيان في تفسير القرآن: الطَّبْرَسِيّ، أبو عليّ أمين الإسلام الفضل بن الحَسَن (ت ٥٤٨هـ):

تع: أبو الحسن الشَّعرانيّ (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق حامد الفدويّ الأردستانيّ، مطبعة ستارة، المكتبة الرَّضويَّة لإحياء الآثار والتُّراث بالتَّعاون مع انتشارات مرتضوي، ط ١، قم المشرَّفة، ١٤٣١هـ.

تحقيق هاشم الرَّسوليّ المحلَّاتي، دار إحياء التُّراث العربيّ، ط ١، بيروت، ١٤٠٦هـ.

١٣. معجم مقاييس اللُّغة: ابن فارس، أبو الحُسَيْن، أَحْمَد بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدِّين، شركة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٤٣٣هـ.

١٤. المصابيح في تفسير القرآن العظيم: الوزير المغربيّ: أبو القاسم، عليّ بن الحسين (ت ٤١٨هـ)، دراسةٌ وتحقيق: د. عبد الكريم الزَّهرانيّ، الرِّياض، ١٤٢١هـ.

١٥. المصباح المنير: الفيُّومِيّ، أبو العبَّاس، أَحْمَد بن محمَّد بن عليّ (ت ٧٧٠هـ)، تحقيق عزّت زينهم عبد الواحد، مكتبة الإيمان، ط ١، المنصورة، د. ت.

١٦. منهاج الهداية في بيان خمسمائة الآية: ابن المُتوَّج البحرانيّ، جمال الدِّين أحمد بن عبد الله الجَزيريّ (ت ٨٢٠هـ)، تحقيق محمَّد كريم باريك بين، مطبعة زينون، قسم الأبحاث والدِّراسات في الحوزة العلميَّة بـ(قَزْوِين)، ط ١، قم المشرَّفة، ١٤٢٩هـ.